مولد الرفاعي (*)

بـات الفؤادُ صبـابَـةٍ يتحـرَّقُ ... وبـه إلى دار الحبيبِ تَشـوُّقُ[1]
نـأتِ الأحبَّـةُ، فـالـديـارُ بعيـدةٌ ... والقلبُ من نارِ الجوى يتمزَّق[2]
عـاهـدْتُهم عهـداً وإني إذ نـأوا ... بـاق عليه ولَنْ يحَـلَّ المـوْثِق[3]
يـا راكبـاً، وأراه ولَّى وجـهَـهُ ... شـطرَ الأحبَّـة إنني لـمؤرَّق
قفْ واحملنَّ فتىً أضرَّ به النوى ... يبغي المسيرَ إلى الحبيبِ ويعشق
كم فـاضَ وجـداً لـلاحبَّـةِ قلبُـهُ ... حتى غـدا وهو العليـلُ المُـرهَق
وأنِخْ رِكابَـكَ إن وصلتَ بساحـة ... منْ نورها وجـهُ الفضائـلِ مشرق
هيَ بعـدَ بيتِ الله أعـظمُ كعبـة ... حـجَّ الأكارمُ صـوبَها وتـدفَّقـوا[4]
قد شيَّدَت أركـانها أيـدي الألى ... بيمينِـهم قـبسُ الهـدى يـتـألَّق
هم نبـعُ كلِّ كـريمـةٍ وأسـاسهـا ... وبفضلِهم غصنُ المروءةِ فُورِق
وبهم يسيرُ الهديُ وثَّابَ الخُطى ... ويخرُّ شيطانُ الضلالِ ويُصعَق[5]
همْ سرحةٌ بالهديِ بورك غَرْسها ... إن جفَّ أصلٌ قام فرعٌ مُعرِق[6]

(*) القيت في الاحتفال بالليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بحضور النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد نائب أنشاص في ٣١ مايو - أيار - ١٩٥١ .

(١) الصبابة: رقة الشوق.

(٢) الجوى : الحرقـة وشدة الوجد.

(٣) نـأوا : ابتعـدوا.

(٤) في الأبيـات مبالغة في الفخـر واعتزاز بالنسـب.

(٥) السرحـة : الشجـرة الطويلـة العظيمـة.

سوقاً أقاموا جُل سِلعَتِهِ ندىً ... يُعطى الفقيرُ به العطاءَ ويرزق
فبنوا مناراً للحنيفةِ عالياً ... وسما لدَّين الله صرحٌ شاهقُ
أسرعْ فديتك كي نلمَّ بدارهم ... ونرى وجوهاً بالجلالةِ تَنطِق
ونشاهدُ الأحبابَ إذ جُمعوا بها ... ولهمْ بذكرِ الله قلبٌ يَخفِق
ثَملوا بشربِ الهديِ من كأس التقى ... فشرابُهم، نعمَ الشرابُ الريِّقُ
ورعاهمُ الرحمن جلَّ جلالُه ... وملائِكٌ من فوقِهم قد حَلَّقوا
لا البُغضُ شقَّ إلى النفوسِ سبيله ... كلا ولا شملٌ هناك مُفرَّق
بل ثمَّ دَيِّنٌ خالص وهدايَةٌ ... واللهُ جلَّ إلى الرشادِ موفِق
أجهرْ بصوتك إن وصلتَ ونادِهم ... من بالنداءِ من الأحبة أخلق؟[1]
يا قومُ إني قد وقفتُ ببابكم ... والبابُ دوني - لا أظنُّ - سيغلق
عطفاً عليَّ، ولست أنشدُ غيرَه ... فالعطفُ أحرى بالكرامِ وأَلْيق
ودَّعتُ قومي وانطلقتُ يسوقني ... أملٌ ويدفعني رجاءٌ صادق
وأتيتُكم أبغي النجاةَ من الأذى ... يومَ الغمامِ به السماءُ تَشقَّقُ
وإذا اهتدى عبدٌ بهديِ أولى التقى ... يسقيهِ من كأس النعيمِ الخالقُ
واخشع ملياً بالضريحِ مُسلِّماً ... والرأسُ منكَ من المهابةِ مُطرق
قبرٌ طوى علمينِ في جنباتِهِ ... لهما منارٌ للرَّشادِ ومَشرق[2]
كمْ جاهداً في الله حقَّ جهادِه ... كم أحرزا من رفعةٍ لا تُلحق!
لهما من الرحمن ألفُ تحيةٍ ... ما مال بالأرجاء غصنٌ باسق
وإذا ذكرتَ أولي المروءةِ والنَّدى ... وأئمةٍ في كلِّ فضلٍ تَسبِقُ
فاذكرْ بخيرٍ في المحافل سيداً ... عِطرُ الثناءِ لهُ جزاءٌ أليَقُ

---

(١) هذا البيت وإلى البيت (وإذا اهتدى عبد) غير موجود في نسخة «آهات شريدة» بل هو في «المختارات» أخلق: أجدر وأحق.

(٢) يقصد بالعلمين جده هاشم ووالده مصطفى الرفاعي.

وانشد: أبا عيدٍ[1] أتيتُك مادحاً ... فلعلَّني فيما أقول أوفَّقُ[2]

إن البيانَ بخيلِهِ وبرَجْلِهِ ... مهما مكثتُ أصوغُه وأنَمِّقُ

لنْ يستطيعَ مديحَ ذاتكمُ التي ... أنى تسيرُ بها المهابَةُ يُحدق

في كلِّ عامٍ أنتَ درةُ حفلِنا ... تُضفي علينا من سناكَ وتُغدق

وإذا الوجوهُ رأت بهاكَ جرى بها ... ماءُ النَّضارةِ صافياً يترقرق[3]

فخرَ الرجالِ العاملين وخيرَ من ... في البرلمان به الأكف تصفق

إني أراكَ لدى السلام مسالماً ... وأراك سيفاً في الشدائِدِ يمحق[4]

فإذا رضيتَ فأنتَ نورٌ مشرقٌ ... وإذا غضبتَ فأنتَ نارٌ تحرق

يا من له عند الشيوخ مكانةٌ ... وبه الشبابُ متيَّم ومُعلَّق[5]

إن كانَ بينَ الناسِ بَرٌ صادقٌ ... بالمعوزين فإن برَّك أصدقُ

أو كانَ ثَمَّةَ منْ يقولُ بأنَّه ... يعلوك قدراً فهو غرٌ أحمقُ[6]

فلأنتَ في كرمِ الشمائِلِ «حاتمٌ» ... ولأنتَ في صدق العزيمة «طارق»[7]

عوَّذْتُ جاهك بالنبي فإنني ... أخشى عليك من الحسود وأُشفق[8]

* . * . * . * . *

---

(١) أبو عيد : يشير إلى أحد أعضاء البرلمان في منطقته وهو الشيخ عبد العظيم عيد.

(٢) من «المختارات».

(٣) البهاء : الحسن. النضارة: الحس والرونق،

(٤) هذا البيت والبيتان اللذان بعده من نسخة «المختارات».

(٥) متيم : محبٌ ومعلَّق أيضاً.

(٦) غر : جاهل.

(٧) هذا البيت من نسخة «المختارات».

حاتم الطائي ويضرب به المثل بالكرم، وطارق بن زياد هو القائد المسلم المشهور الذي فتح الأندلس ويضرب به المثل في الشجاعة.

(٨) في القصيدة كثير من المبالغات ولكن ذلك يتعلق بالسن المبكرة التي قال فيها هذه القصيدة، إضافة إلى أن التعوذ بالنبي لا يجوز ولا تكون الاستعانة والتعوذ إلا بالله العلي العظيم.